والشمس اللافحة ، والمطر الثاقب ، كل ذلك يقال بسرعة . بضعة مشاهد كبيرة ، وينتهي الامر . عندما أقول ذلك لموريس يخيب أمله . حتما ان فيلمه يدور في الفراغ .

*

في ١٣ نيسان ١٩٧٥ ، اشتعل الحقد . مليارات من سنوات الكبت والحرمان عادت الى التعبير عن نفسها . ظهر الاحد مرت سيارة باص مليئة بالفلسطينيين العائدين من مخيمهم أمام كنيسة كان يقدس فيها رئيس حزب الكتائب المسيحي اللبناني . كمين أم مصادفة ؟ لا أحد يعلم . مهما يكن فان ميليشيا الحزب أوقفت الباص ، وانزلت ركابه ، ورمتهم بالرصاص واحدا بعد الآخر .

الخبر يخترق المدينة كصدمة كهربائية . والصمت يغطي بعد الظهر بأكمله . وعند هبوط الليل كانت الانفجارات تهز المدينة . زخات الرشاشات تسمع على فترات زمنية تتضاءل تدريجا . الفلسطينيون يثأرون لموتاهم الثلاثين . الكتائبيون يردون على النار .

كل نزاعات العالم العربي بممثليها هنا يشتركون في المجزرة . كل البائسين أصيبوا بالرعب . هذا حصاد العشب الطري . كل ثانية يسقط جسد .

صباح الاثنين تجمع الناس حول سيارة مرسيدس . أصيب السائق بعدة طلقات في رأسه . دماغه تناثر والتصق على جدران السيارة من الداخل . مادة تلتصق بمادة .

أطراف عدة تشترك في هذا الارهاب العام . ولكن يبقى حزب الكتائب واليمينيون المسيحيون من جهة ، والثوار الفلسطينيون المتمردون من جهة اخرى ابرز أطراف النزاع .

الحرب الاهلية تستمر . نحن في نيسان عاطر وحار تتخلله النضارة . المدفع يقصف . الميليشيات المحلية تملك أسلحة أكثر من الجيش النظامي .

السماء مخططة هذا المساء ببروق هائلة تشققها من جهة لاخرى . الطرق التي أراها من الطابق التاسع خاوية كأنها لوحة لفنان ساذج . صوت المؤذن في هذا الحي المسيحي من الاشرفية يبدو نشازا ، مع اننا نعلم أن الصوت ليس حقيقيا بل هو اسطوانة . الشرق الاوسط العربي يعيش مصيره . ليس هناك صوت عادي أو زقاقي . هناك قوة مطلقة للارهاب . الطلقات الرصاصية تفرقع وتترك صدى في مدرج اسمه بيروت . الصدى يرجع صوت المدفع فوق كل مساحة البحر . العاصفة تختلط بايقاعات الحرب وتطهر بيروت . لم تعد بيروت مدينة تجار بل مدينة قتلة هائمين فوق خلفية فضائية .

العنف يتصاعد من كل متر مربع من الارض ، وكأنه يتصاعد من غابة معدنية . العقل البشري في هذه الأيام يبدو كجسد عازل أو كقوة عاجزة . المدينة حقل كهربائي مغناطيسي . كل يريد ان يحتك به . الخوف من الالم الجسدي يمنعني من الاشتراك في هذه المعركة . ثمة خطف يومي وتعذيب . النساء يحتجبن في منازلهن أكثر من اي وقت مضى . هذه الحاجة الى العنف أدركتها يوما أمام شريط كهربائي اقتلع من « بريز » : كانت بقايا من الاشرطة النحاسية البيضاء عالقة في الثقبين ، وكنت أسمعها تقريبا تناديني . وكنت أريد بكل قواي أن المسها ، واعيد جمعها بيدي ليعبر جسدي هذا الصعق الكهربائي ، ولادرك معنى الاحتراق . لم أقاوم هذه الرغبة الا بصعوبة بالغة .

بلد بأكمله يرضخ لنداء العنف هذا . لذة القتل تتبرعم برفقة كل التبريرات التي اعطيت لها . عند الحواجز فتيان لم يعرفوا بعد كيف ينامون بلياقة مع فتاة ، يعرضون